الرسم العثماني والرسم المصحفي والرسم الإملائي

تأليف

أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير

www.alukah.net

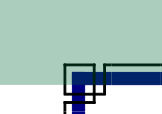

الرسم العثماني والرسم المصحفي

والرسم الإملائي

بقلم

أ د. أحمد مصطفى أبو الخير

خادم اللغة العربية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بعد الحديث عن قراءةِ القرآن، جمعِه وقرآنِه، ثم بعدَ تفسيرِه وبيانه، أحبُّ أن أكتب عن الفرق بين الرسم العثماني وبين الرسم المصحفي، ثم المقارنة بينهما وبين الرسم الإملائي العادي الحديث، مؤكدين أولًا وآخرًا أن الرسمَ العثمانيَّ ليس وحيًا من عند الله، إنما هو عملٌ بشري، تمامًا، تمامًا، فأقول:

الرسم العثماني هو الرسمُ أو الطريقة التي كتَبَ بها الصحابةُ على عهد عثمان بن عفان- رضى الله عنه- المصاحف التي سُمِّيت بالمصاحف العثمانية، أو ما يُسمى أحيانًا بالمصحف الإمام الذي ارتضاه الصحابة في مقابل المصاحف الخاصة التي تُنسَب لبعض الصحابة- رضي الله عنهم- مثل مصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أُبَيِّ بن كعب أو غيرهما.

لقد شكَّل عثمان- رضي الله عنه- لجنة برياسة الصحابيِّ الشابِّ زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، قامت بكتابة خمس نسخ أو خمسة مصاحف، أُرسِل واحدٌ إلى الكوفة، والآخَرُ إلى البصرة، والثالثُ إلى دمشق، والرابع إلى مكة، وبقيت نسخةٌ في المدينة.

ومن هنا أصبح لدينا المصحف المدني، والمكي، والدمشقي أو الشامي، والبصري، والكوفي، نسبةً إلى الحواضر، المدينة ومكة ودمشق- أو الشام- ثم البصرة والكوفة، فإذا قيل المصحف المدني أو مصحف أهل المدينة فإن هذا يعني المصحفَ أو النسخةَ التي أبقاها عثمان في المدينة.

ومن عجب وطرافة أن بعض البادهين يتصوَّر أو يتوهَّم أن المصحفَ المدني أو مصحف أهل المدينة هو المصحفُ الذي يُطبَع الآن في مدينة سيد الخلق، صلى الله عليه وآله وسلم.

والحقُّ الحقيقُ والصحُّ الصحيحُ أن المصحفَ المطبوعَ الآن في المدينة المطهَّرة المنوَّرة أو في غيرها من حواضر العالم الإسلامي الآن إنما يُطبَع على الرسم المصحفي، وليس الرسم العثماني، وإن بينهما فرقًا، كما سنفصل ونوضح.

والأعجبُ مما سبق أن بعضَ الناس على الطريقة التي يقرأ بها الآن القراء في المدينة الطاهرة، سيَّما قراءُ الحرم المدني، يطلق عليها قراءة المدينة أو قراءة أهل المدينة في مقابل القراءة المصرية التي تسمى بالقراءة المجوَّدة التي تأتي مع تمهُّل وتأنٍّ وأصوات جميلة رائعة رائقة، في حين تلك في المدينة هي قراءة (حدر) شريعة، ويطلق عليها أحيانًا القراءة المرتَّلة، أو القرآن المرتَّل، والتي يراها بعض الناس هي القراءة الصحيحة، أو الطريقة الصحيحة التي يجب أن نقرأ بها، في حين نرى أن الطريقتين المصرية (المجوَّدة) وأيضًا المرتَّلة السريعة، كلاهما صح وصحيح.

على أية حالٍ فإن مصطلح قراءة المدينة إنما تُطلق على قراء المدينة في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، سيَّما جعفر بن يزيد القَعقاع (ت١٣٠هـ)، ونافع بن أبي نعيم رحمهم الله (ت ١٦٩هـ).

نعود مرةً أخرى إلى الرسم العثماني لنعيد مرةً أخرى أنه المنسوبُ إلى عثمان بن عفان، أو ما كتبته اللجنة التي رأسها زيد بن ثابت، هذه اللجنةُ وأعضاؤها من الصحابة- رضي الله عنهم- إنما استخدموا طريقةَ الكتابة التي كانت مستخدمةً على عهدهم وفي أيامهم، وهو عمل بشري تمامًا، لا صلةَ له بالوحي مطلقًا، أو النبوة؛ إذ لا نبوةَ بعد محمدٍ- صلى الله عليه وآله وسلم- ولا وحيَ.

وإذا كان اللهُ قد وفَّق الصحابةَ في هذا العمل فإننا إن نسمِّي هذا العملَ أو هذا الرسم (توفيقيًّا)، وليس (توقيفيًّا) بحالٍ من الأحوال، ومن قال بأنه وحيٌ وبعد رسول الله فعليه أن يقدمَ الدليل.

أما الرسمُ المصحفيُّ أو الرسم الذي تُكتَب به المصاحفُ الآن وتُطبَع أو حتى تُنسَخ بخط اليد: فإنما تستخدم الرسمَ المصحفيَّ أو رسمَ المصحف، حيث دخلت تطويرات وتغييرات كبيرة وضخمة، منها النقط ورموز التشكيل الفتحة والضمة والكسرة والسكون، ورموز السكون والتشديد وهمزة الصل والقطع... إلخ، كلُّ هذا لم يكُ موجودًا في الرسم العثماني.

وأنا أشبِّه هذا بالمسجد على عهد الصحابة- رضي الله عنهم- وشكل المسجد الآن، لا شكَّ ولا ريبَ أن المساجد الآن دخلتها تطويراتٌ وتعديلات واسعة جدًّا، من الفرش، أو الكهرباء، ودورات المياه... إلخ إلخ.

ولكن ما الفرقُ بين الرسم المصحفي والرسم الإملائي؟ أو لماذا اختلف الرسمان، مع أن الأصلَ واحدٌ، وهو الرسم العثماني؟ السببُ في هذا أن العلماء كانوا يتحرَّجون من إدخال

تعديلاتٍ على الرسم المصحفي متصوِّرين أنه يجب الحفاظُ عليه؛ لأن الصحابةَ هم الذين كتبوا به واستخدموه.

و أنا أعطيك مثالًا: انظر إلى مصرَ وكثيرٍ من أمصار الإسلام، نفرُشُ المساجد بدءًا من الحصير القديم إلى السجاد الغالي الفخم، أما في جنوب تايلاند فكلُّ المساجد غيرُ مفروشة، إنما هو (السيراميك) أو البلاط اللامع فقط.

ما رأيك- طال عمرك- لو جاء أحدٌ في تايلاند واعترض على عدم فرش المسجد، أو جاء في مصر، ورأى أن نقلِّدَ التايلنديين في عدم فرش المسجد، إن الناسَ سوف يعترضون عليه، متصوِّرين أنه تراثٌ وموروث يجب الحفاظ عليه، في حين هو عمل معاشي، يصح أن يفرش المسجد، ويصح أيضًا أن يكون عاطلًا عن الفَرْشِ والبُسُط، كلاهما صح صحيح، وحق حقيق.

ولكن كيف اختلف الرسمُ المصحفيُّ عن الرسم؟ وأين ؟ أنا فقط أعطيك أمثلة:

١- رسم همزة المصحف رأس صاد صغيرة اختصار وصل، هذا الرسم موجود في جميع المصاحف التي تُطبَع الآن في شتى الأمصار الإسلامية هكذا (ا ص)، لكنه في الرسم الإسلامي العادي استُغنِيَ عنها تمامًا، فإن رمزَ الوصل الآن هو ألف فقط، دون شيء عليها، هكذا (ا) فلماذا لم تُغيَّر في الرسم المصحفي؟ إن الناسَ تتصور أن هذا موروثٌ يجب الحفاظ عليه.

٢- مثال آخر، علامة السكون في المصحف رأس خاءٍ بدون نقطة هكذا (ـح) أي اختصار خفيف، أو سكون خفيف، لكنها في الرسم الإملائي العادي دائرة، كما هو المعروف، وليس رأس خاء، فلماذا لم يغير الناس؟ السبب سلف ذكره.

والآن هل يصح أن نكتبَ آيةً أو أكثرَ في غير المصحف بالرسم الإملائي؟ نعم يصح هذا، وإن كانت الحواسيب الآن بها المصاحف برسم المصاحف، ويمكن نسخ آيةٍ أو أكثرَ أو أقلَّ من هاتيك المصاحف بسهولةٍ ويسرٍ، إلا أنه يبقى من المباح أن نكتبَ ما سبق في غير المصحف بالرسم الإملائي العادي الحديث.

ولكن أيصح أن نكتبَ مصحفًا بكاملة بالرسم الإملائي العادي، أو بمعنًى آخَرَ: هل نُدخِلُ كلَّ التعديلاتِ والتطويرات التي تحرَّج الناس من إدخالها إلى الرسم المصحفي؟ نعم يجوز هذا، لكن مع الرجوع من المختصين من علماء الرسم وتاريخ القرآن الكريم.

بقي أن نُنبِّهَ إلى ملحوظة مهمة على المصاحف المطبوعة خارج مصر، ألا وهي الفصل بين واو العطف وبين المعطوف- أي: في الرسم- في حين نجد واو العطف وما بعدها متصلين، غير منفصلين، ويترتب على الخطأ السابق خطأ أشد فداحة، ألا وهو كتابة واو العطف نهاية السطر، ثم يأتي المعطوف بداية السطر التالي، ثم تسرب هذا الخطأ إلى الكتابة العادية لدى الطلاب وغير المثقفين.

ولعل بعضَ المدعين من النوع بادي الرأي إذا وجد هذا في مصحف مطبوع قلَّده، متوهمًا أن هذا ليس خطأ؛ بل هو الرسم العثماني، وهو عنده وحي أكيد من رب العالمين، وكل هذا- بكل توكيدٍ- خطأ في خطأ في خطأ.

واوُ العطف تابعةٌ رسمًا ومتصلةٌ بما بعدها، كان هذا في الرسم العثماني القديم، وهو أيضًا ثابتٌ في رسم كل المصاحف التي طُبِعت في مصر.